# تطور الشعر العربي في أفريقيا

مجلة دراسات إفريقية

Journal Homepage: http://studies.africansc.iq/
ISSN: 2518- 9271 (Print) ISSN: 2518- 9360 (Online)

# تطور الشعر العربي في أفريقيا

**الباحث: مختار مودبو نانا**

**ماجستير لغة عربية ـ تخصص: علم اللغة**

**جامعة سنار ـ جمهورية السودان**

**رقم التلفون +٢٣٤ ٨٠٣ ٢٦٧ ٨٤١٠ ـ الايميل: nanamodibbo@gmail.com**

**تاريخ الاستلام:**
٢٥/ ١/ ٢٠٢٣

**تاريخ القبول:**
٣٠/ ١/ ٢٠٢٣

**تاريخ النشر:**
١/ ٣/ ٢٠٢٣

**الكلمات المفتاحية:**
تطور، الشعر، العربي، أفريقيا.

**ملخص البحث:**

يأتي هذا المقال بعنوان: "تطور الشعر العربي في أفريقيا" ويهدف إلى التعرف على دور الشعر الأفريقي، واتبع الباحث في هذا المقال المنهج الوصفي التحليلي. وقُسم المقال إلى خمسة مباحث، وهي: المبحث الأول: تاريخ الأدب العربي الأفريقي، والمبحث الثاني: إسلامية الشعر العربي الأفريقي، والمبحث الثالث: المعاني الجديدة في الشعر العربي الأفريقي، والمبحث الرابع: تطور الشعر العربي الأفريقي، والمبحث الخامس الأخير: النتائج والتوصية.

المجلد الثاني العدد (١٠)
الجزء الأول شعبان
١٤٤٤هـ - آذار ٢٠٢٣م

# The Evolution of Arabic Poetry in Africa

**Researcher: Mukhtar Modibbo Nana**

**nanamodibbo@gmail.com**

**Received:**
25/1/2023

**Accepted:**
30/1/2023

**Published:**
1/3/2023

**Keywords:**
Evolution, Poetry, Arab, Africa.

**Journal of African Studies**
volume (2)
Issue (10)
Shaaban 1444 H

**Absrract**

This article is entitled: "The Development of Arabic Poetry in Africa" and aims to identify the role of African poetry. In this article, the researcher followed the descriptive analytical approach. The article was divided into five sections: the first topic: the history of Arab-African literature, the second topic: the Islamism of Arab-African poetry, the third topic: new meanings in Arab-African poetry, the fourth topic: the development of Arab-African poetry, and the final fifth topic: results and recommendations.

**مقدمة**

الشعر الأفريقي يشمل مجموعة واسعة من التقاليد الناشئة عن ٥٥ دولة في أفريقيا ومن تطور الاتجاهات داخل مختلف الأنواع الأدبية، إنه موضوع كبير ومعقد ويرجع ذلك جزئيًا إلى التنوع اللغوي الأصلي لأفريقيا ولكن في المقام الأول بسبب التأثير المدمر لـعبودية والاستعمار، مما أدى إلى الإنجليزية والفرنسي، يتحدث بها ويكتبها الأفارقة في جميع أنحاء القارة.

ولقد تلقّت الأمّة الإسلامية مع العلوم الشرعيَّة علومَ اللُّغةِ العربية والأدبِ العربي، على اختلاف بيئاتها وثقافاتها، فنشأ نوعٌ من التكوين العلمي والأدبي لديهم زائدٌ عن الضروريّ من الدين، ممَّا نسمِّيه أدباً إسلاميّاً بحكم كونه نتاجاً للتَّفَقُّه في الدين، وأثراً من آثار طلب العلم الذي فرضه الله على المسلمين.

ولا يُعقَل أن يعدم الأدب العربي في أفريقيا السمراء مناخاً طيِّباً ينمو فيه ويتطوّر، خصوصاً أنّ الأفارقة نالوا من التفقُّه في الدين، وحِذْقِ لغة القرآن حظّاً وافراً، وتلَقَّوْا من معارف الوحي قدراً كافياً، فنتج عن هذا وذلك ثقافةٌ إسلاميةٌ في مضمونها، عربيّةٌ في وعائها اللُّغويِّ والأسلوبيِّ، أفريقيّةٌ في ملامحها البيئيّة.

**أهمية البحث:**

تتمثل أهمية هذا البحث في الآتي:

١- تمكين فاعلية الشعر العربي في أفريقيا.

٢- تساعد مؤتمر سيدة اللغات في الأفريقية في معرفة أساسيات الشعر العربي الأفريقي.

٣- تبحث المشكلات الخاصة بالشعر العربي الأفريقي داخل الدول الأفريقية والتي تعوق دون تقدمها العلمي والثقافي.

**أهداف البحث:**

تتركز أهداف هذا البحث في النقاط الآتية:

١- التعرُّف على دور الشعر العربي الأفريقي.

٢- التعرُّف على المشكلات التي تواجه الشعر العربي الأفريقي وتحول دون أداء دوره العلمي والثقافي في الدول الأفريقية.

٣- التعرف على إسلامية الشعر العربي الأفريقي وإبراز المعاني الجديدة له في الدول الأفريقية.

**منهج البحث:**

اتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي.

**هيكل البحث:**

المبحث الأول: تاريخ الأدب العربي الأفريقي

المبحث الثاني: إسلامية الشعر العربي الأفريقي

المبحث الثالث: المعاني الجديدة في الشعر العربي الأفريقي

المبحث الرابع: تطور الشعر العربي الأفريقي

المبحث الخامس: النتائج

## المبحث الأول: تاريخ الأدب العربي الأفريقي

الواقع أنه ليس لدى كثير من المثقَّفين بالثقافة العربيَّة في أيامنا هذه إلمامٌ كافٍ بالأدب العربي الأفريقي، ولعلَّ أحسنَ انطباعٍ لدى القليلين منهم ممَّن أَلَمَّ بشيءٍ من ذلك بحُكم تخصُّصه العلميِّ، لا يعدو أن يكون انطباعاً سطحيّاً عن روعة ما تركه بعضُ المشاهير مِن العلماء الأفارقة من إنتاجٍ علميٍّ، وتُعد آثارُ الشعراء أمثال الشيخ إبراهيم الكانمي والشيخ ابن فودي رحمهم الله، من هذا القليل الذي يستطيع أيُّ دارسٍ مُتخصِّصٍ في تاريخ أفريقيا الإسلامي أن يُؤَكِّدَ معرفتَه ببعضه، واطِّلاعَه عليه، فلقد أُتيحَ لنيجرِ ولنيجيريا وغيرهما من الظروف التاريخيّة ما جعل علماءَها على صِلَةٍ مستمِرَّةٍ بعُلَماء العرب، خصوصاً في الشمال الأفريقي، كما ساعدَتْ الظروفُ نفسُها على طباعةِ كثيرٍ من المؤلَّفات القَيِّمة التي خَلَّفها هؤلاء العلماء.

ويحفِلُ الغربُ الأفريقي بالعديد من المؤَلَّفات القيِّمة، منها الآثارُ العلميَّة التي ما زالت مغمورةً لا تقِلُّ روعةً عمَّا تركه علماء نيجر ونيجيريا وأُدباؤُهما، بل يُمكِن القولُ بأنَّ من بين تلك الآثار العلميّة والأدبيَّة ما يختلِف عن الروائع التي خلَّفها علماء نيجر ونيجيريا وأدباؤهما من حيث الكمِّ والنوعِ، نقول ذلك، ونحن نُدرِكُ أنَّ لكلِّ منطقة أفريقيَّة خصائصَها الجغرافيَّةَ والتاريخيّة والثقافيَّة التي تَجعلُ الاختلافَ بينها وبين غيرها من مناطق القارَّة واقِعاً لا يمكن إنكارُه.

ويُمكن القول بأنَّ النيجر وغينيا والسنغال ومالي تُعد «مربعاً ذهبيّاً» في أفريقيا يستطيعُ الباحثُ الجادُّ أن يجد فيه كنوزاً، من روائع الشعر العربي، تختلف من حيث الكمّ والنوع عن روائع الشعر العربي في نيجيريا وتشاد مثلاً، ويجد في تلك الروائع من الخصائص الأسلوبية ما لا يجده في هذه الروائع.

ولا شَكَّ في أنَّ رحلةَ الشعر العربي من الجزيرة العربية إلى ربوع الشام ومصر، ثم الأندلس والسودان، أكسبته خصائصَ لم تكن متوفِّرة فيه في بيئته الصحراوية، فلقد تشبَّع بالكثير من صور التعبير، وأساليب البناء، وضروب الأخيلة، فتوسَّعت آفاقه،

وتعددت ألوانه، ورقَّت حواشيه، وتهذَّبت آليّاته، نتيجة لثراء البيئة الطبيعية التي استقرَّ فيها الشعراء وتنوّعها.

والمتتبع لخريطة الشعر الأفريقي يجد نوعاً من التفاوت بين اتجاهاته ومساراته، ويجد في هذه الاتجاهات والمسارات أجواءً شعريةً مختلفةً، وصوراً تعبيريةً متباينةً، ومن المفيدِ أن تتضافر الجهودُ المخلصةُ في مجال جمع التراث العربي الأفريقي من مصادره المختلفة، ويتوسّعَ مجالُها لتتناول مناطقَ أفريقيّة أخرى، فحَصْر الدراسة على نماذجَ محدودة من الإنتاج الأدبي في أفريقيا اجترار لا مسوّغ له، ولا تُرجى منه فائدة كبيرة، ونستطيع تأكيدَ أنَّ الباحثين سيعثرون في مناطق أفريقية أخرى على كنوزٍ من الأدب العربيّ الأفريقي الرائع تُشبع فضولَهم العلميّ.

ومما لا شَكَّ فيه أنَّ الازدهارَ الذي حدث للأدب العربي في الأندلس قد حدث في أفريقيا أيضاً ازدهارٌ موازٍ له، سواء من حيث جودة الإنتاج، أو تعدُّد الأغراض الشعرية، وإن كان ثمة فرقٌ فيكون في الظروف البيئية والتاريخية التي من شأنها أن تطبعَ أدبَ أمةٍ بمميزاتٍ خاصة بها.

ونقدِّم إنموذجاً واحداً من أعلام الأدب الأفريقي بلغ من الشهرة في المصادر العربية حدّاً بعيداً، وحدث له من القبول لدى نقَّاد العربية ما لم يتهيَّأْ لأديب أو عالمٍ أفريقي، وهو (إبراهيم الكانمي) الذي (قدم على المغرب قبل الستمائة) على حدِّ تعبير ابن الآبار، وحصل على تقدير كبار نقَّاد العربية، أمثالِ (ياقوت الحموي) الذي وصفه بأنّه: «مشهودٌ له بالإجادة»، ووصف (ابن حمُّويه) شعرَه بقوله: «إن الكانمي يُعرب عن شعرٍ فصيحٍ، ولفظٍ صحيحٍ، ووزنٍ مستقيمٍ، ومعنى قويم»، وقال عنه (الصفدي) إنَّه كان «جيِّدَ النظم»، ومن جيد شعره قوله يمدح أبا إسحاق إبراهيم بن يعقوب:

ما بَعْدَ بابِ أبي إسحاقَ منزلةٌ يسمو إليها فتًى مثلي ولا شرَفُ
أَبَعْدَ ما بَرَكَتْ عِيسي بساحته وصرتُ مِنْ بَحْرِه اللُّجِيّ أغترِفُ
هَمُّوا بِصَرْفِي وقَدْ أَصْبَحْتُ مَعْرِفَةً فكيف ذلك واسمي ليس ينصرفُ

وواضحٌ من هذه الأبيات أن الشاعر مُتمَكِّنٌ، ويمتِلك من أدوات صناعة الشعر ما يمتلِكه أمثالُ المتنبّي وابن الروميّ والبحتريّ وغيرهم، ومع ذلك؛ فإنّ ما تركه هو وغيره من شعراء أفريقيا السوداء من روائع الشعر وعيونه؛ لم يحْظَ بشرفِ الانضمام إلى التراث الشعري الضخم الذي يحفلُ به تاريخُ الأدب العربي، ولم يجد له مكاناً بين عيون الشعر العربي الذي يُدَرَّسُ في المدارس والجامعات، بل إن مؤرِّخي الأدب العربي لا يُدْرجونه في الأعمال الأدبية الرائعة التي يحفل بها التراث العربي الإسلامي، ولقد أدَّى ذلك كلُّه إلى وجود فجوة في تاريخ الأدب العربيِّ، أفقدت هذا الأدبَ تكامُلَه وتنوّعَه وثراءَه، بل أدَّت إلى طمس بعض معالمه العالمية.

ولعلّ أقدم النصوص الشعرية التي وصلتنا حتى الآن لشعراء غربي أفريقيا السودانيين هي ما عُثر عليه لبعض الفقهاء السودانيين أمثال: أحمد بابا التمبكتي، والطالب بن محمد بن الطالب عمر الخطاط بن محمد نض، والشيخ يحي التدلسي، وعبد الله بن محمد القاضي، والفقيه أميننا مينخن بن الفقيه مالك.

ولكن يصعب علينا تحديد ذلك تاريخياً، أو الإشارة إلى أول من ابتدأ قرض الشعر من الشعراء الأفريقيين باللغة العربية، فهذا الشاعر محمد البخاري بن أمير المؤمنين الشيخ المجاهد عثمان بن فوديو الفلاني (ت ١٧٥٤م)، يمدح عمّه عبد الله بقوله (من بحر الكامل):

أصحوت أم هاجت هواك منازلُ عفى معارفَها البِلَى وهواطلُ
(بتلاثامي) أو (بجن) فسما بها إلا نعام ترتعي وفراعلُ
دار عهدت بها الحلول وكلّ من أهوى معي والعيش غضٌّ باجلُ
ولقد وقفت برسمها مستخبراً عن أهلها والدمع منّي سائلُ
لله درك! هل وقوفك نافعٌ برسومها أم هل لدمعك طائلُ!

وبعد هذه المقدمة الطَّلَلية على مذهب شعراء العرب الجاهليين، يصل الشاعر إلى بيت الانتقال، أو كما سمّاه البلاغيون «حسن التخلص»، فيقول:

فـدع الديار واذكـر أخـدان الهـوى وخـرائـد في مشـيها تتمايـلُ

وبدلاً من أن يتغزل الشاعر بمحبوبته على عادة الجاهليين؛ إذا به يتزهّد، ويعدد النصائح الطويلة، مثل قوله:

واسلك طريق أولي الهداية واغتنم فرصاً تمـر وأنـت منـها غافلُ

وازهـد عـن الدنيـا فـإنّ نعيمها أضغـاثُ أحـلامٍ وظـلٌّ زائـلُ

وابـغِ السيادة بالعلوم فما استوى في المجد ذو علمٍ ومَـن هو جاهلُ

ثم ينتقل إلى ممدوحه، وفي تعداد مناقبه بمثل قوله:

ولقد حباك الدهر شـيـخاً ما لـه في العلم في تـلك الأراضي ماثـلُ

أعني إمـام العصـر عبد الله مَـن ساد الشيوخ النبل مـذ هو شابـلُ

وواضح هنا الطابع العام لمثل هذا الشعر من حيث ألفاظه وأبنيته وصوره ومحسّناته البديعية، إنه امتداد طبيعي للشعر في منابعه الأصلية في الوطن العربي، كذلك فقد حرصت كثير من قصائد هذا المديح على إبراز الذخيرة اللغوية العربية، وإظهار التمكّن الواسع من اللغة العربية، ومعرفة أشعار الفحول من العرب القدامى، لتكون بين أيدي الطلاب نصوصاً للدراسة والإحاطة بهذه اللغة.

والواقع أنَّ انقطاعَ الصلة بين علماء القارة الأفريقية وأدبائها ونظرائهم في المشرق والمغرِبِ العربيين، أدَّى إلى أن ينموَ الشعر العربي الأفريقي نموّاً ذاتيّاً داخل بيئته القديمة، وضمن بنيته الفنية التقليدية، فالصِّلات العلمية التي تزامنت مع الصِّلات التجارية إبَّان ازدهار الممالك الأفريقية لم تستمرَّ في ربط شمال القارَّة بجنوبها؛ على الرغم من حصول نوعٍ من التحسُّن في مجال الاتِّصالات ناتجٍ عن الكشوف الجغرافية والاختراعات العلمية.

إنَ هذه النهضةَ العلميةَ المباركةَ لم تأخذ في الاعتبار الأدبَ الإفريقي كتراثٍ قيِّمٍ لا يقلُّ أهميَّةً عن الأدب العربي الأندلسي، وكان ـ مثله ـ قد نشأ في مناخٍ غيرِ عربيٍّ، وفي بيئةٍ جغرافيةٍ غير عربيةٍ كذلك، ولقد ظلّ هذا الإنتاجُ الضخمُ مدوَّناً في مخطوطات قديمة لم

تستطع مقاومةَ الزمان طويلاً، فذهب الكثير منها ضحيَّةً للضياع أو الحرائق أو التلف، وبقي القليل منها مُتَفَرِّقاً لا يضُمُّه مكانٌ، ولم يَحْظَ ـ في الواقع ـ أيُّ إنتاجٍ علميٍّ عربيٍّ أفريقيٍّ باهتمام الباحثين العرب وعنايتهم، ولم تَجْرِ محاولةٌ لإدراج روائع الشعر العربي الأفريقي ضمن النصوص الأدبية التي تُدَرَّس في الأدب العربي، ولا يتضمَّن تاريخُ هذا الأدب إشارةً إلى ما أنتجه الأفارقة من أعمال أدبية تمثّل حلقة مُهِمَّةً من سلسلة الأعمال العظيمة التي خلَّفها رجالُ الأدب العربي على امتداد التاريخ.

**المبحث الثاني: إسلامية الشعر العربي الأفريقي**

إن اللغة العربية كما هي لغة الأدب والثقافة والحضارة الإنسانية فهي أيضاً لغة العلم والفن والسياسة، ليست قاصرة على علم دون آخر كما يتصوّر بعض المستشرقين، فهي أولاً وأخيراً لغة القرآن الكريم.

وهكذا نجد أن الشعر العربي قد نشأ في أفريقيا في مرابع مجالس العلماء، في هذه التربة الثقافية، فالمؤرخ الأفريقي السعدي يشير في كتابه إلى نبوغ شعراء سودانيين والأغراض التي تناولوها.

في ضوء ما عرضه الباحث من بعض النماذج الشعرية؛ يمكن القول بأن الشعر العربي في أفريقيا شعر فصيح، نما وترعرع في ديار بعيدة عن موطن العربية، وأن الشعراء الأفريقيين عندما نظموا شعرهم العربي إنما نظموه بلغة تعلّموها كلغة ثانية، إذ إن تعلّمهم للعربية لم يكن من أجل أن ينظموا بها، بل من أجل غرض آخر، وهو فهم الدين الإسلامي، وعندما ملكوا زمامها أصبحوا قادرين على قرض الشعر بالعربية كما كانوا قادرين على قرضه بلغتهم المحلية، وهكذا فقد صار منهم شعراء مطبوعون إلى جانب كونهم علماء قبل أن يكونوا شعراء، ولم يكن الأدب بالنسبة إليهم إلا وسيلة وليس غاية، وكان العلماء والمتعلّمون في أفريقيا يتخذون من الشعر معياراً تُقاس به المستويات العلمية بين أوساطهم.

ولما كان علماء هذه القارة يقرضون الشعر ويتنافسون في نظمه على الأرض

الأفريقية؛ نشأت حركة أدبية وشعرية ذات أغراض إسلامية، وكان أعلام العلماء وكبار الشيوخ من جميع أنحاء أفريقيا الغربية يجتمعون في موسم أدبيّ مدة أسبوع، يحرّك في بعض العلماء الأحاسيس الشعرية، ويدفعهم إلى نظم القصائد حول تلك المناسبة التي يجتمعون فيها.

ووجد إلى جانب ذلك مراسلات شعرية بين العلماء، كانت تتم حين يقصد أحدهم زيارة صاحبه في مدينته، فكان هذا الصاحب يستقبله بقصيدة ترحيبية فيها مدائح شريفة له، وفي المقابل فإن الزائر لا يرجع إلى بلده ولا يترك صاحبه إلا بعد أن يرد عليه بقصيدة مثلها في فضل صاحبه الذي استضافه.

كما وجد إلى جانب ذلك المنظومات الشعرية التعليمية في المبادئ الفقهية والقواعد الشرعية، وقد تشكّل من هذه الأشعار المتنوعة الأغراض والمنظومات أهم ظاهرة أدبية وشعرية في حركة الأدب العربي في أفريقيا، وبها نما الشعر لدى الأجيال.

كما كان هناك أشعار نُظمت بغرض التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك استنكار البرناوي الماهر على الشيخ بن فودي حضور النساء لوعظه بقوله:

عليك منّا تحياتٌ مباركةٌ شمَمن مسكاً وسكا مَن يلاقونا
أيا ابن فودي قُم فأنذر أولي الجهلا لعلّهم يفقهون الدين والدونا
فامنع زيارة نسوان لوعظك إذ خَلْط الرجال بنسوان كفَى شينا
أتفعلن ما يؤدي للمعايب إذ لم يأمر الله عيباً كان يؤذينا
إن الممات وما بعد الممات وجهلا بالعواقب وعظٌ كان يكفينا
وأبيت المصطفى بج يتممها في عام رش مع زيد العد يغنينا

ويقول العلامة عبد الله بن فودي رداً على قصيدة العالم البرناوي الماهر:

يا أيها ذا الذي قد جاء يرشدنا سمعا لما قلت فاسمع أنت ما قلنا
نصحت جُهْدك لكن ليتَ تعذرنا وقلت سبحان هذا كان بهتانا

إن الشياطين إن جاؤوا لمجلسنا هم يبثّون سوء القول طغيانا
لسنا نخالط بالنسوان كيف وذا كنّا نحذر لكن قلت سلمنا
إن كان ذاك، ولكن لا أسلم أنْ يُتركن بالجهل هملاً كان إحسانا
إذ ارتكاب أخفّ الضرِّ قد حتما يكفّر الجهل إن ذا كان عصيانا
هذي البلاد وجدنا قومها غرقوا في الجهل نمنعهم أن يفقهوا الدينا
قد قيل تحدُث للأقوام أقضية بقدر ما أحدثوا خذ ذاك ميزانا
الحمد لله ذي الإنعام هادينا ثم الصلاةُ على المختار هادينا
وآله وصحبه، أبياتنا كملت وعدها حب والتاريخ نقشنا

تصوّر الباحث هذه الأبيات وغيرها من الأبيات السالف ذكرها البيئة الأفريقية التي نشأ فيها الأدب العربي الأفريقي، وهي تنعكس على البيئة الأدبية والشعرية والثقافية العربية في أفريقيا، هذه البيئة التي تمثّل المنبع والمصدر الثالث للشعر العربي الأفريقي بخاصة، والأدب العربي الأفريقي بعامة، بعد القرآن الكريم المصدر الأول والسنّة النبوية الشريفة المصدر الثاني.

تلك هي أهم المجالات التي ترعرع فيها الشعر العربي في أفريقيا ونما بين أجيال هذا القرن، علماً بأن ما ذكرناه كانت إرهاصاته تعود إلى عهد ما قبل الاستعمار، حيث اهتمت المجالس التعليمية القديمة كلّ الاهتمام بالشعر العربي؛ بقصد تسهيل حفظ القواعد الفقهية خاصة والأحكام الشرعية عامة.

أما الصفات التي يمدح بها الشاعر فمعروفة ومعظمها تقليدية، مثل الكرم، والشجاعة، وإغاثة الضعيف، والعطف، والحلم، ونجدة الجار، والعلم والتقوى إلى غير ذلك.

إنهم إذن شعراء واقعيون ينتمون إلى الرعيل الذي يراهن على المستقبل الذي يسير أبداً إلى الأمام، ففي المدائح والرثاء وحتى الغزل وغيرها من الأغراض؛ لا نجد إلا ما

هو واضح في الواقع، إذ لم تكن موضوعاتهم بحاجة إلى التكلّف والمبالغة، فمعانيها لا تعرف المغالاة، وإن كنّا نجد في بعض المرثيات والمديح شيئاً من المبالغة، ولكن ذلك ضئيل جداً إذا ما قيس بالتي تخلو من ذلك.

والدين الإسلامي هو المؤثّر الوحيد والأساسي في نشأة القصيدة الأفريقية ونموّها، ولهذا لم تتأثر بل لم تحاول التأثر بغيره، ولا عجب؛ إذ إنها لا تقرّ بوجودٍ لها خارج دائرة الإسلام، ومن هنا فقد جاءت معاني هذا الشعر المختلفة معبّرة عن هذه الحقيقة الثابتة الصادقة، يعبّر الشاعر عنها بصدق وبساطة، كما في قصائد مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الوعظ والإرشاد.

**المبحث الثالث: المعاني الجديدة في الشعر العربي الأفريقي**

ومما يلفت النظر إلى الشعر العربي في أفريقيا كثرة ما به من المعاني الجديدة، وبالأخص ما أُنشد تعبيراً عمّا وقع من الأحداث الخاصة والمختلفة في حياة الشعراء، فقد أبدعوا فيها على تنوعها، فقد استطاع الشعراء أن يركّبوا على المعنى معنى آخر، أو أن يزيدوا عليه زيادة حسنة، أو أن ينقلوه إلى موضع أحق به من الموضع الذي هو فيه.

ومن المعاني الجديدة والطريفة في هذا الشعر نظرتهم الفلسفية إلى الحياة التي جاءت في صورة اليقين والتأكيد، يقول الشاعر مهدي معاذ في قصيدته (نظرة الحياة) (من الكامل):

وإذا نظرت إلى الحياة وجدتها عدم الثبات لحالها المتداخل
لولا تقلّبها لكانت حلوةً أو مرةً عند اللبيب العاقل
لولا تقلبها لصارت عزةً أو ذلةً في ثوبها المتناول
ليس الشجاع مَن انتهى مستسلماً إن الشجاع مكافح بتناضل
فالأمر بين نشوئه ونموّه ومروره بمراحل فمراحل
هذي الحياة كما أرى وأعيشها إن الحياة تشاؤم بتفاؤل

لا شك أن هذه الأبيات لامست الروح الحقيقية للشعر الحديث الذي يقول عنه الكاتب أمين مازن: (الأصل في الشعر الحديث أن يتفتح الشاعر على الحياة، ويسخّر شعره لتصوير مشاعر الناس بصدق، منطلقاً من تجربة شعرية عميقة، وإحساس شعري أصيل.

يلاحظ الباحث في هذه الأبيات صراع الأضداد في تلك اللوحات المتضادة التي رسمها للحياة، ولا يقف الشاعر أمام هذه التجارب موقف المتطاول، ولا يركن إلى الصراع وافتعال البطولة الزائفة، ولكنه يقف موقف الإنسان في أشيائه الصغيرة ولحظات الإنسانية البسيطة، إنه يتأمل وفي تأمّله قد يتشاءم، وقد يستشعر المرارة، وتبدو الأشياء أمامه في حجمها الطبيعي، ولذلك تظل مشاعره محررة من أي افتعال أو ادّعاء كاذب، وتأتي القصيدة هذه الأكثر تأمّلاً، وأدعى إلى الصدق، وأقرب إلى تمثّل الأزمة في أعماق النفس البشرية.

نجح الشاعر في هذه القصيدة في تصوير تناقضات الحياة وصراعاتها التي تضمنت استمرارية الحياة وبقاء الكون، معتمداً على مهرجان فني من الصور القائمة على التقلّب والتغير.

**المبحث الرابع: تطور الشعر العربي الأفريقي**

لم يكن تطورَ الشعر العربي في أفريقيا بالأمر السهل؛ مقارنة بالمناطق التي كانت توجد بينها وبين شبه الجزيرة العربية أرضية لغوية مشتركة أو صلات تاريخية، تجعل من السهل أن ينبغ أبناؤها في اللغة العربية وآدابها، وتكمن الصعوبة في الجهد الذي ينقل به الشاعر الأفريقي تعبيره من مستوى لغوي معين إلى مستوى لغوي آخر يختلف عنه تمام الاختلاف.

فالشاعر الأفريقي لا يصل إلى التعبير باللغة العربية إلا بعد أن يمرَّ بمراحلَ متدرّجة، تبدأ من الكتاتيب التي يتم فيها تعلّم هجاء الحروف واحداً بعد الآخر دون شكل في المرحلة الأولى، ثم بعد ذلك مع التشكيل في مرحلة ثانية، ثم تعلّم الكلمات

والجمل في مرحلة ثالثة، ذلك كلّه لكي يتمكّن من تعلّم الحروف الهجائية الثمانية والعشرين، مما يسمّى في التربية بالطريقة الجزئية في القراءة.

ويبدأ التكوين اللغوي والأدبي العربي عند الأديب الأفريقي من دراسة علوم اللغة العربية، مثل متن الآجرومية في النحو، وعلم العروض والقافية في الشعر، ويأخذ تكوينه اللغوي والأدبي منحى أدبياً، يتمثّل في تعرّف الشعر والنثر من المعلقات السبع ومقامات الحريري، وإلى هنا تقريباً يتوقّف تكوينه العلمي، ثم يوسّع ثقافته الذاتية بنفسه من خلال أمهات الكتب المعروفة في ذلك العهد كفقه اللغة للثعالبي، وكتاب سيبويه، والقاموس المحيط، وهي مرحلة كبار العلماء، وبالجملة لا يستوي تعبيره الأدبي إلا أن بعد أن يدرس علوم اللغة العربية، ويطّلع على أمهات كتب اللغة والمعاجم المعتبرة، ويصقل مواهبه بالتمرّس على أساليبهم في التعبير.

هذا كله خلافاً للشاعر العربي أو الشاعر غير العربي الذي ولد، أو نشأ، في بيئة عربية، فتكلّم بلسان العرب منذ نعومة أظفاره، وتهيَّأ له من الفرص ما يجعله يأخذ العلم من أفواه العلماء مباشرة، ويتمرّس الشعر بالقرب من مصادره، ومنهم من يثري قاموسه اللغوي في البوادي بين العرب الأقحاح مع كونه عربياً، ومنهم من تسري فيه الشاعرية بالوراثة، فيكون بين سلسلة عائلته شعراء مشهورون، ولا بد من أن يتأثر من قريب أو بعيد بحركة الأدب وتطوّره، وبتنوع أساليب التعبير واختلافها، وذلك كلّه معروف لدى كل من قرأ شيئاً من سيرة حياة شعراء اللغة العربية الفحول.

وهذه النقطة مهمة للغاية، إذ ليس من السهل على إنسان أن يبرع في لغة مثل اللغة العربية أن يقول فيها شعراً موزوناً ومقفًى، يجمع فيه إلى جانب السلاسة والجزالة جمالَ المعنى ودقَّةَ الوصف، ويصلَ درجةً يرتجل فيها الشعر بالعربية ارتجالاً، ويساجل فيه غيره مساجلة.

وليس من الوجاهة كذلك؛ القولُ بأن انتشار علوم اللغة العربية في القارة بالشكل الواسع الذي يشهد به التاريخ هو سبب النبوغ الأفريقي في الشعر العربي، فمما لا شك

فيه أن في أفريقيا شعراً أفريقياً صرفاً يختلف عن الشعر العربي، ولهذا الشعر موازينه وضوابطه.

ولقد عرف الأفارقة نظام القافية، وتناغمَ التقطيعات الصوتية المتوازنة، وما يُحدثه الكلام الموزون من تجاوب مع الجسم، ذلك أن الشعر واحد من أساليب التعبير التي لازمت الإنسان منذ فجر تاريخه، كما عرفت كلّ الشعوب كيف تتغنّى بآمالها وآلامها، واكتشف كلّ شعب من الشعوب ما في الكلام الموزون من إيقاع، وما في توحيد أواخر المقاطع الغنائية من جمال.

لا غرابة إذن أن يبرع الأفارقة في الشعر العربي، ويصلوا فيه إلى ما وصل إليه فحول شعراء العرب، وينبغوا في الوصف لدرجة يصعب معها التفرقة بينهم وبين فحول الشعراء العرب، وتوجد، من بين ما تركه شعراء غينيا من إنتاج شعري، مجموعة من القصائد بلغت من الجودة ما بلغته قصائد شعراء العربية، ومن جمال التعبير ما ضارع الشعر العربي إبّان مجده في العصرين الأموي والعباسي.

وعلى الرغم من أن الشعراء الأفارقة من الجيل الأول لم يتعرضوا كثيراً لوصف الطبيعة، ولا اهتموا في الغالب بوصف حيوانات بيئتهم، فإن قصائدهم تناولت الموضوعات التي تناولها الشعراء العرب قديماً، فوصفوها كما وصفها هؤلاء الشعراء، وبرعوا في وصف الناقة والفرس كما برع العرب في وصفها.

اقرأ الأبيات الآتية، وهي لشاعر (طوبى) الفذ (كَرَنْ قُطُبُ)، يصف فيها رحلته إلى موريتانيا للاستشفاء مِن داءٍ ألمَّ به، تجد فيها من خصائص التعبير الجيد ما يشبه قصائد الفحول من شعراء العربية:

وعَلِمتُ أنَّ المجدَ عَزَّ منالُه ... إلاَّ بِإِرْقالِ المَطَايَا الوُخَّدِ
في ذاكَ إِدْراكُ المعالِي والمُنَى ... إِيْ، والمهيمِنِ، والحظايَا المُجَّدِ
فدَعِي الضَّريرَ يَحُثُّ بين مُهجِّرٍ ... وَمُعرِّسٍ ومُصوِّبٍ ومُصعِّدِ
عَيساءَ مُسفِنةَ اللَّبانِ شِملَّةً ... وَجْناءَ ناحبةً سَبُوقَ المِنْجَدِ

فَـإِنِ احْتَظَتْ لا غَـرْوَ في وِجْدانِها وَإِنِ انْثَنَتْ صِفْراً فَلَسْـتُ بِأَوْحَدِ
وَرَأَيْـتُـنـي يوماً أَنُـــوحُ نِياحـةً سـلكتْ فُـــؤادي مِسْمَطَ المتفئِّدِ
وَكَـأَنَّـما جفْـنِي المُسهَّدُ صِـفْرَدٌ فـــزِعٌ متَى يَـرُمِ الجُثـومَ يُطـرَّدِ
فَرَكِبْتُ قــوْدَاءَ الهَجـانةِ قاصِـداً سـاحَ الـذي يُصْغِي لها مِـنْ صِنْدِدِ
حَتَّى سمِعْتُ مُشنِّفاً أُذْنَ الشَّـجِي بِنُعُوتِ مَن يشكَى شِكايةَ مُوجِـدِ
فقصدْتُ سـاحتَهُ وقالَتْ اسمَعَنْ (مَـنْ يستجيـبُ لأنَّــةِ) المتوجِّـدِ
فسمعتُه فوجدْتُه يُسْـدي الشَّجي وهِـجَ القَطِيعَةِ بالوِصَـالِ المُـبرِدِ
وَأَرَيْـتُـــه سُـــمّاً لَـسُـــوداً مِمْغَـداً فوجـدْتُهُ تِـريـاقَ سُـــمِّ الأسـودِ

فالشاعر استخدم من الألفاظ العربية الأصيلة ما يشهد له بالتمكّن في اللغة، وعلى الرغم من أنه جمع في أبياته من غرائب اللغة قدراً كبيراً؛ فإن التعبير لم يتحوّل إلى نظم متكلّف، كما قد يُتوقّع، فأنت تشعر أن الكلام سلس، والألفاظ متوازنة لا تنافر بينها، والشاعر لم يحشد الألفاظ الغريبة حشداً، وإنما وردت خلال الأبيات في رشاقة، ونزلت في مواقعها نزولاً طبيعياً لا تكلّف فيه، ولم يكن قصد الشاعر منها إبراز مدى ثقافته المعجمية الواسعة بالكلمة العربية، ولكنّه شاعر يعرف كيف يجعل منها كياناً تعبيرياً متوازناً وشعراً سلساً.

**المبحث الخامس: النتائج**

لقد وجد الباحث الحاجة ماسّة إلى تعريف الإنتاج الأدبي العربي الأفريقي في القارة الأفريقية من المخطوطات العربية، علماً بأن هذا الموضوع محاولة للإسهام في الأنشطة البحثية التي تسعى إلى جمع التراث العربي الأفريقي، كما أنها محاولة للإسهام في تأصيل المراجع الأولية الخاصة بهذا التراث الإسلامي في أفريقيا بعامة، وفي الغرب الأفريقي بخاصة، حيث إن الميدان خصب، ومجال البحث واسع، ويقع على عاتق أبناء المنطقة مهمة البحث فيه قبل غيرهم من الباحثين الأجانب، لكونهم أعرف بالبيئة، وأقرب إلى مصادر العلم والأدب فيها.

والباحث نؤمن بأن المستقبل القريب سيحطّم من تلقاء نفسه كلّ الحواجز الفاصلة بين قراء العربية، يوم أن تصبح الوحدة المرتقبة بين الأقطار الإسلامية العربية عاملاً جوهرياً من عوامل الاتصال في مختلف ألوانه، ومنها الاتصال اللغوي الذي يحقّق وحدة الفهم المتبادل، وعندئذ يستطيع الكاتب القصصي أو المسرحي مهما كانت جنسيته العربية أن يخاطب قرّاء العربية في كلّ بقعة من العالم الإسلامي الكبير باللغة الفصحى، ومراعاة القيم الخلقية التي تراعي مشاعر المسلمين وروح الإسلام، بل أيضاً من حيث اختيار لغة الخطاب والتواصل وآلياتهما، بما يخدم واقع المسلمين، ويقرّب المسافة بين الشعوب، ويكسبها قدرة زائدة على مواجهة التحديات الفكرية، ولا سيما اللغة التي هي وعاء الفكر.

**التوصية**

١- جمع أشعار الأفارقة كلها في دواوين شعرية، ونشرها في العالم عامة والأفريقية خاصة، ليتمكن له الخروج من المخابئ، وليسهل وصوله إلى القراء والنقاد عالميا.

**المراجع:**

١- أمين مازن، دوائر الزوايا المتداخلة، الطبعة الأولى، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا

٢- سعيد عمر أحمد، «الدكتور» تزيين الورقات بين التاريخ والأدب للشيخ عبدالله بن فوديو، جامعة أفريقيا العالمية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية السودان، ١٩٨٥م.

٣- شيخو أحمد سعيد غلادنشى، «الدكتور» حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الطبعة الثانية، المكتبة الأفريقية، ١٩٩٣م.

٤- عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، باريس: هوداس، ١٨٩٨م.

٥- محمد ابن شريفة، إبراهيم الكانمي.. نموذج للتواصل الثقافي بين المغرب والسودان، الرباط: جامعة محمد الخامس، ١٩٩١م.

٦- منكيلا يوسو، دور الشعر العربي في الحفاظ على إسلامية الهوية الأفريقية، المنتدى الاسلامي، ٢٠١٣م.

٧- يوسو منكيلا، الأدب العربي في النيجر ومؤثرات الاستعمار الفرنسي في مجرى تطوره، طرابلس كلية الدعوة الإسلامية، رسالة دكتوراه، ٢٠٠٩م.